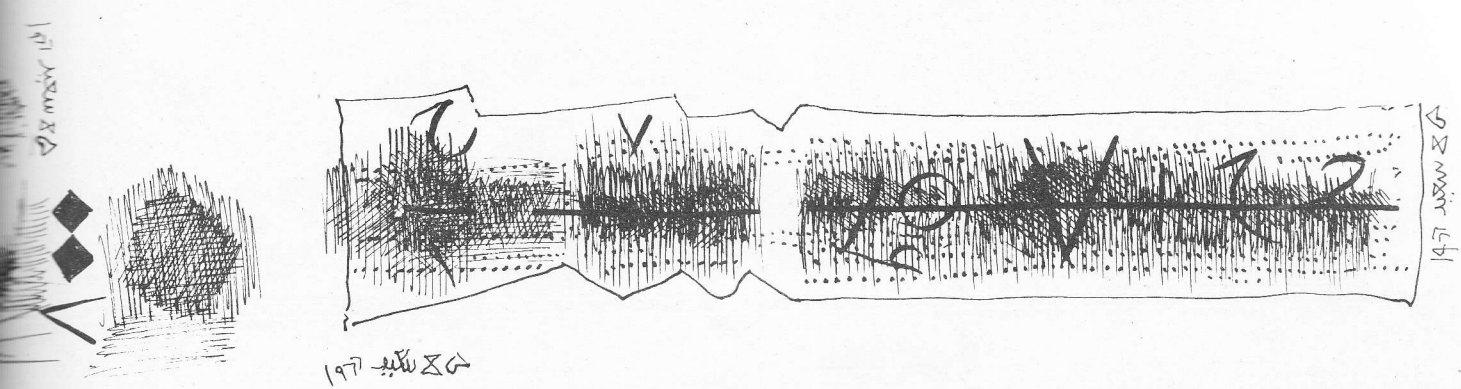

لقاء مع الفنان شالرحمن

التقيت به أولاً عن طريق كلماته التي حملتها بحوثه في المجلات.. وقد استهوتني فيها هذه النظرة الجدية للأمور، وهذا العمق الذي جعلني أحس أنني أمام انسان مثقف ثقافة متعددة الجوانب.

ثم شاهدته في رسومه، فاذا هي تحمل ملامح الرؤيا، إذ جعل منها «محاولة للوصول الى الحقيقة». كانت بحثاً دائماً يرتسمه في الملامح التعبيرية لخطوطه، ومعراجاً في مدارج الذات التي تغنى في الكون.. وتخطياً لأساليب انشد إليها الفن عندنا زمناً.

وفي صباح أحد الأيام كنت على موعد معه، وفي داره بالذات. كان وجهه المتطلع بأسارير البساطة هو مادفع عن ذهني كثيراً من الفكر التي كنت قد كونتها عنه من خلال مطالعته ومشاهدته...

الابتسامة لا تفارقه.. وجهه يطفح بأسارير البشر.. والبساطة التي طبع عليها جعلت كل مافي حياته يسير في مجراها.

وفي ركن متواضع من أركان الدار.. جلسنا لنسجل هذا الجديث.. فكنت ألقي عليه السؤال، فيجيب وهو يستغرق مع تأملات بعيدة يروح فكره يرتاد مداها. يفكر ملياً ثم يتكلم، بينما «طيور الكناري» تملأ جونا بصوتها العذب.

* * *

*** يرى البعض ان لوحاتكم ورسومكم تختزن الكثير من السمات الصوفية.. فالى أي مدى يصدق هذا الرأي؟**

أجاب وهو يستغرق مع تأملاته في صفاء تبدت ملامحه على وجهه:-

ـــ القول بأن العمل الفني يختزن السمات الصوفية يتناقض أساساً مع طبيعة العمل الفني نفسه لأن التصوف ليس بما يقدم في عمل فني معين كما يقدم أي انتاج. ولكني أعتقد ان المقصود هو مايمكن من تقديم عمل فني من تجربة صوفية للمشاهد. وهذا الطابع يعتمد على موقف المشاهد نفسه من اللوحة.

أنا شخصياً أرسم متأملاً. بمعنى أني أحاول أن أجعل من عملي الفني بدلالة ممارستي لعناصره وأبعاده، مجالاً للوصول الى الحقيقة: ان أكون مخلصاً في التعبير عن حريتي أولاً.. فبكل موضوعية أحاول أن أرسم، أن أضع الألوان بصورة تقترن وذكري لله عز وجل. بحضور الحقيقة وبحضور المطلق. ثم إني أرسم دونما هدف سوى التعبير بصورة لا تحمل العمل الفني فوق طاقته. أحاول أن تكون أبعاد العالم الفني الذي أمارسه أبعاداً غير مادية، بل غير تشكيلية. فلا أعامل القيم الفنية على إعتبار أنها مرسومة على سطح تصويري، بل على أنها هائمة في فضاء، ولا أدري أفي مثل هذا التصرف ضرب من الصوفية أم لا.

إلا أنني أضيف أني حينما رسمت رسومي الأخيرة كنت أتعمق في بعض دراساتي الصوفية، ولا أدري أيضاً إذا كان ثمة علاقة واضحة بين دراساتي ومنجزاتي الفنية.

*** هل يعني هذا ان اللوحة لديكم هي احتصاد ميتافيزيقي؟**

أجاب على الفور:

ـــ إذا كان المقصود بالسؤال هو أني أتجاوز في ممارستي الفنية بصورة مثالية، فلا..

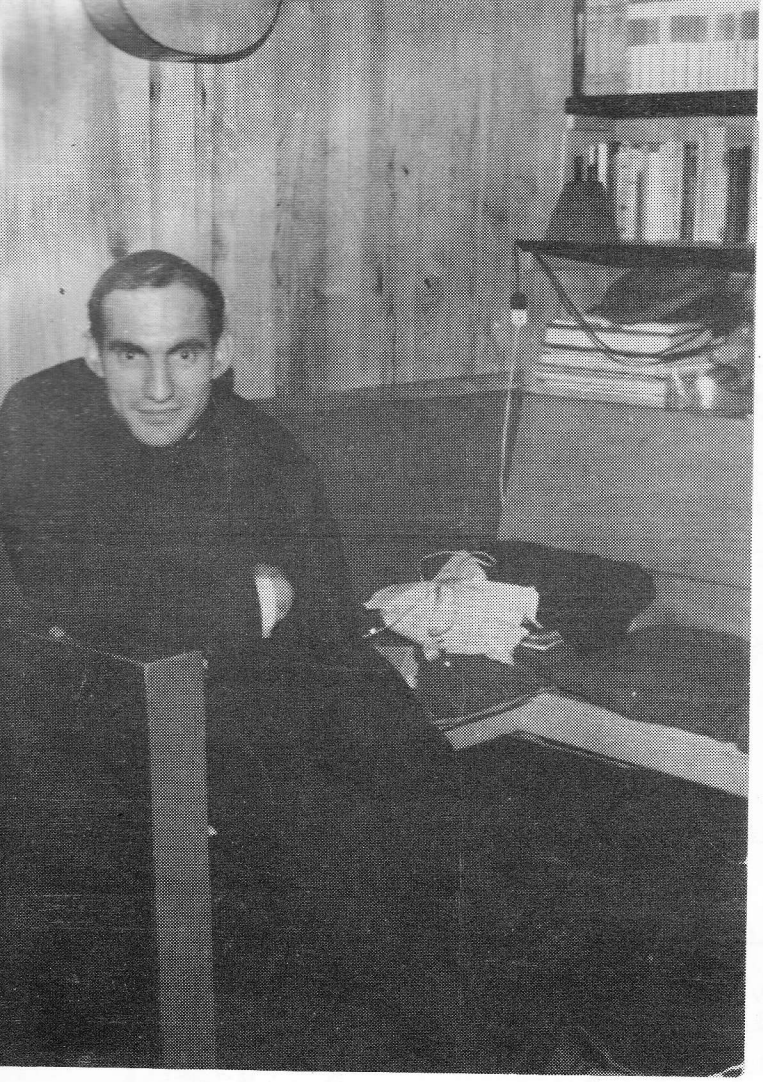

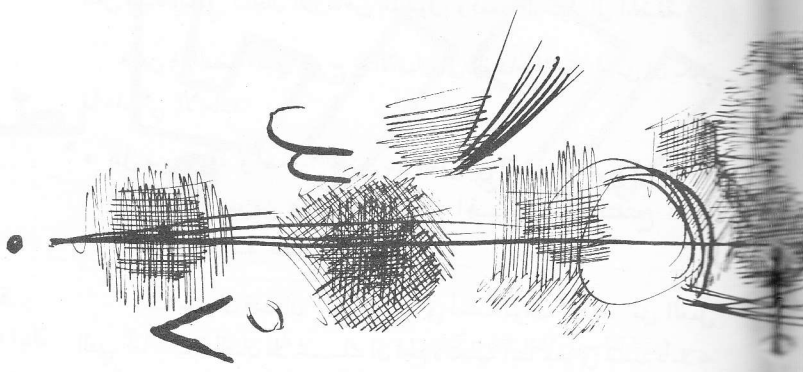

آل سعيد

اعداد : ماجد السامرائي

ان عالم الرسم هو بلا شك عالم واقعي، واللوحة هي سطح متكون من بعدين. . فاية محاولة للرسم على السطح التصويري لابد وانها ستكون محاولة واقعية، اذا كانت ستكرس فنياً وجمالياً لقضية البعدين.

ولكني بسبب ولعي بممارسة الخط ادركت ايضاً ان عالم الخط، أي عالم البعد الواحد، هو غير عالم السطح. . فكيف يتسنى إذن ان يتم التعبير الخطي اذا لم يكن عبر التجاوز من الواقعي الى ما هو حقيقي؟

ونفس الاستنتاج يمكن ان يقال عن محاولة التعبير عن النقطة في العمل الفني. النقطة بلا ابعاد، او انها بكل الابعاد. . فالمعنى واحد، ولكن السطح التصويري لا يعبر واقعياً عن وجود النقطة. فهل تكون ممارسة العمل الفني بمثل هذا البعد ممارسة ميتافيزيقية بمجرد انه لا يمكن تجاهل حقيقتها؟

والواقع اننا اذا نظرنا الى العمل الفني على انه مطابقة ما بين حقيقة العناصر الفنية، كالخط والنقطة؛ والسطح الفني، وهو الشكل نستنتج ان معظم التوصلات القديمة في الفن توصلات زائفة، ومثالية ايضاً. ان ما يسمى الآن «بالفن الواقعي» وهو الذي يتجلى فيه المنظور الجوي، أي التعبير عن الابعاد الثلاثة، هو فن لا يمثل الواقع إلا بقدر ما تمثل الدمية ما يراد ان تمثله من كائنات حية. وبرأيي ان اكبر كذبة في التاريخ والتي انطلت على البشر منذ قرون هي ما قدمته الفنون المتبينة لقضية المنظور الجوي على انها فنون معبرة عن الواقع.

*** هل كان لنشأتكم الاولى اثر في اتجاهكم الفني هـذا بحيث اضفى مميزاته على اعمالكم الفنية؟**

وهنا انفرجت شفتاه عن ابتسامة خفيفة وهو يجيب:

ـــ بلا شك، وانا اعتقد ان العمل الفني هو الفنان نفسه، كما قيل فيما مضى ان الفنان هو الأسلوب. واضيف ايضاً، كما ترى في ذلك الفلسفة الوجودية، ان تقييم العمل الفني لأي فنان لا يمكن ان يكون تقييماً حقا إلا بعد موت الفنان نفسه.

وخلاصة القول ان أي عمل فني هو في الواقع انعكاس لشخصية الفنان نفسه، تلك الشخصية التي تمتد بجذورها الى ايام طفولته. وقد يصح القول تجاوزاً، الى ايامه الجنينية.

اما ما اذكره عن نشأتي الأولى واثرها في اعمالي الراهنة، فالذي اراه بصورة سايكولوجية اني لا اتذكر اثر نشأتي على عملي الفني، لأن الاشياء التي تكون عميقة التأثير هي التي تنسى عادة.

*** بماذا تعللون غموض الرؤيا الفنية في اعمال الفنان المعاصر؟**

ـــ اذا كان معنى الغموض يقصد منه عدم وجود معالم منظورية واضحة تتجلى فيها محاولة خلق او اعادة خلق ملامح مرئية امام الفنان، او يمكن تصورها عن نماذج مشاهدة، فالعمل الفني هو عمل غامض بهذا المعنى. واقصد ان المنظور الذي ينظر بواسطته المشاهد الى اللوحة الفنية هو ما يسبب هذا الغموض بالذات. وإلا فان اي عمل فني هو لغة سهلة القراءة فيما لو كنا نعزف مفرداته. . ومع ذلك اذا كان المراد بالغموض هو عدم وضوح المعنى المدرك عقلياً، فهل من غموض في ان يشعر الانسان بجمال ليلة مقمرة؛ وهو لا يكاد يفهم معنى ضوء القمر، وان كان يعيه بحواسه وعواطفه وقلبه؟

القول بالغموض هو الوضوح فى الواقع. . هو انطباع شخصي ونسبي يظهر حينما يستعصي على المشاهد التأمل الحقيقي في العمل الفني لأن التعرف على الحقيقة ومشاهدتها لا يبدأ بالوضوح او الغموض. انه يتجلى عند الانسان بقلبه بغتة كما تسنح حالات الفرح والحزن احيانا دون ان ندرك سببها.

*** ما علاقة الفن المعاصر بحاضر الانسان؟**

وهنا تململ قليلاً فى مكانه، وعاد الى تلك الآفاق التي كان يتطلع فيها وهو يجيب عن الاسئلة. فقال بلهجة هادئة متيقنة:

— الفن فى اي عصر من العصور هو كشف لروحية ذلك العصر. وفي العصر الراهن، فى الوقت الذي يخيب امل الانسان في ثقته بالعلم والعقل وبقدرته على تحمل مسؤولية الانسانية يزغ فجر آخر يبشر باهتداء الانسان الى اول مدارج العروج الى الحقيقة.

ان الانسان يدرك من جديد تفاهته بالنسبة للكون، وفى اللحظة التي كاد ان يؤله نفسه بعد ان بلغ به التطور المادي والعلمي مبلغه المذهل، يخرج من «الشرنقة» على عالم مجهول هو عالم الفضاء، على صحراء لا اول لها ولا آخر. ففي مثل هذه الظروف التي يقف فيها الانسان على عتبة المجهول من جديد، يستعيد الفن معناه التأملي كمجال للارهاص بالمجهول، وكمعبر للوصول الى الحقيقة.

فالفن فى العصر الذي يخرج به الانسان الى الفضاء، لا مفر له من ان يكون فنا «فضائي الابعاد».

*** هل من علاقة واضحة، إذن، بين الغموض الذي يشيع في اعمال الفنانين المعاصرين وبين هذه العوالم الجديدة التي تتفتح عليها النفس الانسانية للفنان المعاصر؟**

— سبق ان قلت ان الغموض هو فى أساسه موقف المشاهد من العمل الفني. أما بالنسبة للفنان فلا شك ان الحيرة تجابهه أبداً وهو فى صميم تأملاته محاولاً الابداع؛ واصفاً لهذا العالم المجهول. وأي فنان فى الواقع انسان حائر لا يكاد يتبين معالم الطريق أمامه.. ولعل مايزيد فى حيرته أن يدرك أنه ـ وهو الانسان المتحضر وريث أكثر من عشرة آلاف عام من الحضارة ـ يفقد ثقته بنفسه ككائن حريص على المعرفة والسعادة بأيسر سبيل.

اية معرفة هذه التي تطلعه على ساحل الحقيقة الكونية في هذا الوقت الذي يتهجس فيه منذ سنوات الوصول الى أقرب الكواكب إلينا، وهو القمر، تهجساً؟ واية سعادة هذه التي تحطم نفسيته وتحيله الى آلة لا إرادة لها فى عصر يزيد من نسبة المرضى بمدى تعقده وبما يتطاحن فيه من ارادات شريرة وخيرة ؟

وهكذا، لابد أن تكون هناك علاقة ما بين الفنان فى العصر الحاضر وعصره.

*** ماهي الغاية القصوى للعمل الفني عندكم؟**

— ان هدفي من العمل الفني فى الوقت الحاضر بكل بساطة هو أن يكون مجالاً لتأملاتي الخاصة للوصول الى الحقيقة، حقيقة كل شيء، والتي لا تشبه أي شيء. الحقيقة التي يصادف أحياناً ان أسعى لها بواسطة حواسي وعواطفي وفعالياتي الانسانية والتي أنشدها فى عبادتي وممارستي لمهنتي، وأخيراً لفني.

ستقول وما هي هذه الحقيقة إذن؟ وسأقول أنا أيضاً: أيتسنى لي أن أدركها بأبعادي الانسانية وهي أكبر مني؟ كلا.. انني أتوجه إليها فحسب.. اتذكرها.. وهذا كل مافى الأمر.

*** على ضوء هذا. هل نستطيع أن نقول ان اللوحة لديكم هي كشف عن عالم تصبو النفس لارتياده والتطلع فيه؟**

— هل يصح أن نقول ان ابتسامة الطفل هي عالم يكشف عما تصبو له النفس؟ وهل كان للقلوب الكبيرة إلا أن تحس بدموع الحزانى وهي تحز مآقيها؟

ان العمل الفني، قبل كل شيء، هو كشف عن ذات الفنان.. عن توجهه.. عن معراجه. هذا من ناحية. وأعتقد انه من ناحية أخرى، أي بالنسبة للمشاهد، هو خير موضوع سيكتشف فيه المشاهد (وقد لايكتشف، فذلك متوقف عليه) نفسه.. توجهه.، وعن معراجه أيضاً.

اللوحة الفنية مجرد واسطة، وهي واسطة مثمرة بمقدار مايتسنى «للانسان الحقيقي» استيعابها. وهي بهذا المعنى شأنها شأن أي موضوع فى الطبيعة يمكن أن يرى فيه الانسان مادة لتجلي رؤياه الفنية والجمالية، وللتعرف على قدرة الخالق عز وجل.